التربية العلاجية في الأمراض المزمنة

Therapeutic education in chronic illnesses

ABSTRACT

Therapeutic education is more than just giving information; it's about empowering patients to manage their conditions effectively. Doctors must excel in providing essential information while fostering skill acquisition for patients to prevent risks, manage their conditions, and improve their quality of life. This requires an integrated, patient-centered approach that drives behavioral changes and lifestyle adjustments for desired outcomes. Upholding medical ethics is paramount, guided by principles such as non-maleficence, kindness, respect for autonomy, and justice in care delivery. Effective communication is essential, with doctors providing honest, tailored information to enable informed decisions about treatment. Ultimately, a true doctor integrates knowledge with ethical principles, delivering care that is both medically effective and ethically sound.

محمد الحسن الغربي

مصلحة أمراض الغدد والتغذية
وداء السكري المركز الاستشفائي
ابن سينا الرباط المغرب
كلية الطب والصيدلة بالرباط

التربية العلاجية تختلف عن الإخبار والحوار وإعطاء المعلومة ولكن هذا الأخير ذو أهمية قصوى ينبغي لكل طبيب أن يتقنه. التربية العلاجية هي عبارة عن منظومة متماسكة تقصد إلى امتلاك مهارات تساعد المريض على تدبير مرضه أكثر وأحسن بنفسه ووقايتها من الأخطار المتصلة بالداء وبالتالي الوصول إلى تعايش أفضل معه. ويجب أن يكون النقل الحقيقي لتلك المهارات جزءًا من عملية ذات برامج متكاملة في الرعاية تتمحور حول المريض لتصل به إلى تحسين سلوكياته وتغيير نمط عيشه بما يحقق الأهداف المتوقعة كمنع المضاعفات ذات الصلة بالمرض المذكور من الحدوث. والتربية الصحية هي دور كل طبيب سواء كان طبيبا عاما أو للعائلة أو ذا تخصص معين كطبيب السكري مع الداء السكري أو طبيب الرئتين مع الربو أو طبيب القلب والشرايين مع ارتفاع الضغط الدموي.

ومن هنا نخلص إلى القول بأن الطبيب لن يتمكن من أداء دوره جيدا إلا إذا كان عارفا بمعالجة التكفل بالمريض الذي يعاني من حالة مزمنة. والأساسيات التي يقوم عليها هذا التكفل نجملها في أربعة جمل هي الحفاظ على ما هو موجود واستعادة ما ضاع، ثم استبعاد الإصابة أو التقليل من آثارها، ثم تحمل شر معين لتجنب شر آخر أكبر منه، ثم أخيرا القيام بأفضل الاختيارات لتحقيق أفضل نتيجة.

أما الطبيب المعالج فينبغي له أن يتصف بصفات حميدة أربعة لا غنى له عنها وهي العلم الجيد بالأمراض التي يعالجها ودائمًا تفضيل وتقديم أبسط العلاجات متى تبينت نجاعتها والامتناع عن علاج مرض يعلم أنه غير قابل للشفاء، ثم وضع المريض في أفضل الظروف النفسية الممكنة.

ولا يسع هذا الطبيب القيام بكل هذا إلى إذا كان واضعا نصب عينيه المبادئ الرئيسية الخمسة للأخلاق الطبية وهي عدم الإضرار بالآخرين البتة واللطف بهم واحترام كرامتهم وتوفير استقلاليتهم وتبني العدالة الكاملة في رعايتهم. وهذا يستلزم حتما منه الالتزام بصفات عشرة لا محيد له عنها، هي الصلاح والضمير والإحسان والعلم والكفاءة والوفاء والتماسك والاستقامة والإنصاف والبصيرة.

أما مبدأ الاستقلالية فله مكانة خاصة. فالمعالج له حرية اختيار معالِجه ولا يخضع لأي تدخل طبي إلا بعد أن يدلي بموافقة مسبقة واضحة، فأي عمل يقترح على الآخرين إلا وينبغي أن يخضع لقبولهم بكامل الحرية. وهذا يعني أن من حق المريض أن يرفض العلاج وأن يحصل على المعلومة الصحيحة حول مرضه ليقرر هو بنفسه ما سيؤول إليه التكفل به وبمرضه. فعلى الطبيب أن يتعلم إخبار المريض بكل ما له صلة بعلاجه بإعطائه معلومات مفيدة وصريحة وأمينة وملائمة حتى تكون مكيفة مع السياق السريري الجاري. وهذا يحتم على الطبيب المعالج أن يكون قادرًا على تزويد مريضه بالحجج التي تسمح له بمقارنة فوائد العلاجات المختلفة والمخاطر التي تعرضه لها. ولكي يكون المريض مستقلاً، يجب أن يكون قادرًا على معرفة ما إذا كان العلاج يستحق الاستمرار أم لا. ولهذا فالطبيب يقول للمريض كل ما يجب ويحب هذا الأخير أن يعرفه بالطريقة التي تتماشى مع حالة المريض النفسية إذ لا يمكن إعطاء نفس المعلومات للجميع بنفس الطريقة. وهذه العملية تعتمد على خمسة إجراءات رئيسية. فعلى الطبيب أن يعرف كيف يحدد الرسائل الرئيسية التي سيتم تسليمها ثم عليه أن يُقَوِّمَ الذخيرة الدلالية للمريض وألا يدخر جهدا في تكرير المعلومات المفيدة مع استخدم الاستعارات والصور وإعادة صياغة المعلومات كلما تطلب الأمر ذلك. الطبيب الحق هو الذي ينفذ المعرفة كما أخذها من عينها معملا في تدخلاته قواعد الأخلاق المتعارف عليها مبشرا بالكلمة الطيبة كلما استطاع إلى ذلك سبيلا.